فلسفة العمارة

عنوان المحاضرة

ما بعد الحداثة

على الرغم من الشيوع الكبير لحركة الحداثة وفلسفتها خلال النصف الاول من القرن العشرين

غير انها تعرضت في ما بعد ذلك الى العديد من النقد ومحاولات بعض المبدعين الخروج على تقاليد الحداثة وانتاج اشكال ابداعية ذات نوايا وفلسفات مختلفة

وقد كانت تلك محاولات فردية متعددة ومختلفة

حيث يبتكر كل مبدع طريقته لتقديم نص ابداعي مغاير ومختلف عما هو متعود عليه في النص الحداثي

غير ان هذه المحاولات المتعددة والمختلفة انتجت ما تبلور لاحقا في ما اسماه النقاد والمفكرين بحركة ما بعد الحداثة

ويبدو ان هذا المصطلح ما بعد الحداثة الذي يعجز عن تقديم اسم بديل عن الحداثة ويشير فقط الى ما بعدها

هو انما يشير الى العجز عن وصف ما بعد الحداثة بوصف واضح شامل محدد

اذ انها ليست اسلوب واحد متماثل كما هو الحال مع الحداثة

وانما ميزة ما بعد الحداثة هي التنوع والاختلاف والتعدد

وقد ولدت حركة ما بعد الحداثة في ستينيات القرن الماضي

وعلى الرغم من امتداد حضورها الزمني غير انها بقيت تعددية وغير متجانسة

الذي حدث في فلسفة ما بعد الحداثة

هو الانتقال من تبجيل الحداثة لفكرة الكلية الى بديل ذلك في فكرة التعددية في ما بعد الحداثة

وهي تعددية في اساليب الحياة واللغة والابداع

حيث اصبح من غير المقنع وغير المجدي تقديم العالم في لغة واحدة من التعبير والابداع

واصبح الفهم الحقيقي يكون من خلال الكشف عن زوايا النظر المتعددة الى العالم

لقد كانت حركة ما بعد الحداثة بمثابة اعتراض مشروع على احادية الرؤية الحداثية الشمولية للكون فالحداثة اتجاه وضعي وتقني عقلاني يتصل بالتقدم الخطي المستقيم وبالحقائق المطلقة والتخطيط العقلاني

وعلى النقيض من ذلك تتميز حركة ما بعد الحداثة بالاختلاف والتنافر والتشظي والشك العميق في مختلف الخطابات الشمولية التي تقدم رؤيا متماسكة وواضحة تسود مختلف حقول الثقافة والابداع

وفي حين كانت الحداثة متحفظة في تعاطيها التاريخ وطرز الابداع التاريخية المختلفة وقد اختارت لها اسلوبها المختلف والمنقطع عما سبقها من طرز تاريخية

نجد ان حركة وفلسفة ما بعد الحداثة تجهز قابلية كبيرة وواضحة ومعلنة لتعاطي التاريخ

في انتقاء معطيات من فنون قديمة وجمعها الى بعضها في اشكال وتكوينات جديدة

بحيث اصبح التاريخ واحداث الماضي ارشيفا كبيرا يمكن استعادته واعادة استهلاكه مرة بعد اخرى كما نلاحظ ذلك في عمارة ما بعد الحداثة وكيف تستعيد اشكال معمارية من طرز وحضارات سابقة تستثمر اشكالها ومفردات طرزها المعمارية في تكوينات جديدة

بعد ان تغير في مقياس الاشكال وتعبيراتها التي تنزع في احيان نحو المبالغة بالشكل والحجم

وتغير استعمال العنصر المعماري وتعيد توظيفه في اسلوب جديد يتضمن في احيان الطرافة والتهكم

وبسبب شيوع هذه الظاهرة في استعادة المتنوع والمختلف من الطرز التاريخية وجمع مفرداتها باشكال واساليب مختلفة نجد دريدا وهو يرى ان المونتاج هو الشكل الاساسي في الخطاب ما بعد الحداثي والذي يتوفر بسبب ذلك على التنافر الداخلي الذي يمنحنا الحافز لانتاج دلالة ليست احادية ولا مستقرة لمعنى النص الابداعي

وسوى الانفتاح على التاريخ ومعطياته الاسلوبية نجد توحد بعض اشكال ما بعد الحداثة مع ثقافة الحياة اليومية

كما تهتم ما بعد الحداثة بالهوامش مثلما تهتم بالنص والمتن الاصيل وتمنح القيمة والاهمية بسبب تلك النظرة الى الاقليات والمهمشين في المجتمع

واصبحت القاعدة في العمارة مثلا هي البحث عن استراتيجيات تعددية وعضوية لمقاربة التطوير المديني بوصفه جمع لامزجة متعددة ولامكنة مختلفة شديدة التميز

ونجد فنتوري وهو يدعو ان يتعلم المعماريون من المشاهد الشعبية والعمارة العفوية كما هي موجودة في ضواحي المدن

اكثر من التعلم من النماذج المجردة النظرية غير القابلة للتطبيق

ويمكن المقارنة في ما يلي بين حقول تخص الحداثة ونظيرتها التي تخص ما بعد الحداثة

لكي ندرك التحول الذي وقع هنا في ما بعد الحداثة عما كان عليه الامر في فكر الحداثة

في الحداثة :

كان الشكل الفني متصلا ومقفلا ومتكاملا بشكل يجعله مستقرا

ويتحكم القصد في كامل الابداع حيث يتدخل المبدع في اقرار اية واقعة تفصيلية في الشكل

ومن هنا نجد ان التصميم كان يتحكم بالنص

وثمة في ابداعية النص خلق وشمولية وتركيب

ونجد ان الحضور هو مقولة مهيمنة وهو مصدر التأثير والمعنى وليس هنالك اهتمام بما هو غائب عن الحضور في النص

ونجد ان كل نوع فني هو ذي حدود كأن يكون قصة او شعر او عمارة او موسيقى بدون ان يكون النص خليطا من عديد من الانواع الفنية

وتكون مفردات النص منتقاة وموحدة في سياق اسلوبي واحد

وثمة انشغال واضح بالمدلول اي (المحتوى)

ويكون المقروء هو مصدر التأثير بدون العناية بصورة كتابة الاثر الابداعي

وفي ما بعد الحداثة :

نجد هنا اللاشكل وليس الشكل حيث يكون الشكل مفتوحا ومتقطعا فتغيب الوحدة المستقرة للشكل

ونجد ان اللعب يتدخل ايضا في صنع اشكال الابداع وليس القصد لوحده

وتتدخل المصادفة في انتاج النص فضلا عن وجود التصميم المقرر للمبدع

ويحضر التفكيك والنقض في الخلق بديل التركيب والشمولية

ويكون الغياب ايضا مصدر التأثير والمعنى وليس الحضور حيث يؤثر ما يغيب في منح المعنى لما يحضر في النص

ويكون النص عابرا للحدود بين الانواع الفنية اذ تجد الشعر في القصة وتجد القصة في الشعر والعمارة في الموسيقى والموسيقى في العمارة

ويقع هنا مزج المفردات الشكلية من مصادر مختلفة ومتعددة تاريخية ومكانية وطرازية

ومن الواضح هنا العناية الخاصة بالدال اي (الشكل)

وسوى المقروء نجد هنا ان المكتوب اي الشكل والصورة الكتابية للنص هو ايضا مصدر التأثير في تلقي النص وبناء المعنى فيه